http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1603) السنة السابعة -الأربعاء (9) أيلول 2009

صفقة العقود النفطية مع الصين مصدر للنزاع

ترجمة: عمار كاظم محمد

يقول محمود عبد الرضا رئيس مجلس محافظة واسط « نحن لم نحصل على شيء بشكل مباشر من الشركة الصينية و نعيش معاناة حقيقية «. ربما يكمن السبب في ذلك لتخفيض ميزانية المحافظة إلى النصف في العام الماضي بسبب الانخفاض العالمي في أسعار النفط مضيفا « إننا نعاني أزمة بطالة ونحتاج إلى الطرق والمدارس ووحدات معالجة المياه والخلاصة أننا نحتاج إلى كل شيء «.

و مما حصل نتيجة لذلك هو قيام حركة للمطالبة بالحقوق المدنية بشكل استثنائي في بلد تحملت فيه المعارضة السياسية خطر الموت من الناحية التاريخية ، ففي الأشهر القليلة الماضية بدأت مطالبات للحصول على دولار واحد عن كل برميل نفط يستخرج من حقل الأحدب حيث تستعمل الأموال المتجمعة من ذلك في تحسين الخدمات لغرض تصفية المياه والخدمات الصحية والمدارس وتبليط الطرق والحاجات الأخرى للمحافظة التي هي الأفقر بين محافظات العراق.

عندما وقّعت أكبر شركة نفط صينية أول عقد بعد الغزو لتطوير الحقول النفطية في العراق العام الماضي،اعتبرت هذه الصفقة اختبارا لرغبة العراق في فتح صناعته النفطية والتي كانت تمنع الاستثمار الأجنبي في السابق.

و بعد سنة واحدة من ذلك التاريخ بدأت شركة النفط الوطنية الصينية بالتنقيب عن النفط في حقل الأحدب في محافظة واسط جنوب العراق وبينما كانت العلاقة بين شركة النفط والحكومة العراقية تسير بسلاسة من جهة لكن حضور شركة أجنبية مع معداتها للحفر والتنقيب عن النفط في تلك البقعة الريفية الفقيرة قد أيقظت موجة من السخط هناك من جهة أخرى.

النفط العراقي مصدر للنزاع

إن هذه الموجات من المطالبات أيضا قد امتدت لتمر ابعد من هذه المحافظة حيث أن الإحباط الحاصل ربما يدفع نحو القيام بعمليات تخريب وتخويف عمال النفط الصينيين ما يجعل من حقل الأحدب حكاية تحذيرية لشركات النفط العالمية التي تريد الانضمام إلى موجة الربح السريع من احتياطيات العراق النفطية الكبيرة وغير المستغلة.

وبسبب اعتماد العراق بشدة على إيراداته النفطية فان أي تردد دولي من قبل شركات النفط العالمية سيعنى للعراق سنوات من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد.

تذهب كل الإيرادات النفطية مباشرة إلى الحكومة المركزية في بغداد ومؤسسة الميزانية الوطنية، وقد رفضت الحكومة العراقية طلبات السكان لحد الآن لكن الناس هنا بدؤوا يشعرون بشكل واضح أن هناك شيئا جديدا يحتمل أن يحدث.

يقول غسان علي وهو مزارع يبلغ من العمر ٤٣ عاما ويعيش بالقرب من الحقل النفطي « لم يكن أحد يجرؤ على السؤال عن شيء كهذا في زمن نظام صدام و أي شخص يفعل ذلك كان سيعدم بالتأكيد لكننا الآن نعيش في بلد ديمقراطي لذلك نمتلك حق السؤال عن حقوقنا مثل أي محافظة أخرى في العراق «.

إن الأساس لتلك الشكاوى هو انه ما عدا استخدام بضع مئات من السكان كعمال وحراس أمن برواتب أقل من ٦٠٠ دولار شهريا فان هناك ثلاثة مليارات دولار تقريبا تستخدم لتطوير مشروع حقل الأحدب لا تجلب أي مردود محلي.

بعض المزارعين المحليين بدؤوا بالرد بتحطيم مولدات الشركة وقطع مغذيات الكهرباء عنها وهم غاضبون لأنهم يعتقدون أن حقولهم قد تم تسليمها إلى الشركة بشكل غير عادل بينما اظهر السكان الآخرون غضبهم بسبب العدد القليل جدا من الوظائف المتاحة لهم.

الشركة النفطية الصينية من جهتها قالت أنها تحتاج إلى عدد قليل جدا من الوظائف في الوقت الحاضر كونها في مرحلة الاستكشاف لمشروعها البالغ مدته ٢٣ سنة في حقول الأحدب وسقف الإنتاج النفطي فيه لم يحدد للسنتين ونصف القادمتين.

وتقول الشركة أنه في الوقت الحالي نادرا ما يغادر العمال الصينيون البالغ عددهم ١٠٠ مجمع الشركة بسبب الخوف من تعرضهم للاختطاف على الرغم من قيام الحكومة العراقية بنشر عدد إضافي من رجال الأمن مؤخرا في المنطقة. لكن غضب العراقيين قد تحول بشكل متزايد إلى حركة عمالية صريحة وهي تظهر المخاوف حول حقوق العمال والسلطة المحلية الحكومية والتلوث وممارسات الاستئجار والشفافية والمسؤولية العامة من بين القضايا الأخرى.

يقول غسان عطية المدير التنفيذي لمؤسسة العراق للتطوير والديمقراطية (مؤسسة غير ربحية) « إن النشاط الناشئ في محافظة واسط هو جزء من تغيير أوسع في مجتمع كان حتى فترة قريبة يقاوم هذا النوع من الطلبات بسبب سنوات من الديكتاتورية والعقوبات الاقتصادية والحروب والثقافة التي تحتفظ بمؤثرات عشائرية قوية.

هناك تحول اجتماعي يجري في العراق سيستغرق سنوات لتنظيمه لكن ما نراه هو ظهور نظام اجتماعي جديد كقيام الريفيين بتحدي أهل المدن الذين كانوا ينظرون إليهم نظرة استصغار دائما والحكومة العراقية والشركة الصينية قللا من التوترات في محافظة واسط وفي ما عدا بعض العقبات فان الأمور تسير وفقا للخطة.

مع ذلك فان هذه الاضطرابات تأتي في وقت حرج للصناعة النفطية في العراق والتي تكافح للوصول إلى مستويات الإنتاج ما قبل الحرب ويستعد العراق لبيع عشرة حقول بالمزاد لشركات النفط الدولية وقد أتى ذلك بعد الجولة الأولى في هذا الصيف لبيع حقول نفط وغاز أثمرت عن توقيع عقد واحد فقط.

يحتوي حقل الأحدب على ما يقرب من مليار برميل نفط وهي نسبة بسيطة بمعايير ما يمتلكه العراق مقارنة بحقل الرميلة في جنوب العراق والذي وقعت شركتا نفط صينية وبريطانية عقدا لتطويره ويخمن ما يحتويه حقل العراق الأكبر هذا بـ ١٨٠ مليار برميل.

عن: نيويورك تايمز

بسبب عجز خدمات رعاية الصحة الإنجابية..

معدّل مروّع لموت الأمهات.. واحدة كل دقيقة!

أمهات يواجهن الموت

أفادت منظمة الصحة العالمية أن كل دقيقة تمر تسجل موت إمرأة حامل أو أثناء الوضع بسبب عجز خدمات رعاية الصحة الإنجابية والجنسية، علي الرغم من مرور ١٥ عاما على موافقة ١٧٩ دولة على خطة عمل محددة للنهوض بها في أرجاء العالم كافة

علنت المنظمة العالمية عن هذا المعدل المروع في مؤتمر الصحة الإنجابية والجنسية في برلين في ٢- ٤ من الشهر الجاري، بمشاركة أكثر من ٤٠٠ مندوب عن منظمات غير حكومية من ١٣١ دولة. وتزامن موعد عقد هذا الإجتماع مع مرور ١٥ عاما على المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة في سبتمبر/ أيلول ١٩٩٤ كما عرضت علي المشاركين في الإجتماع بيانات دولية مفادها أن مرض«إيدز» يحصد حياة مئات الآلاف من الأرواح كل سنة، وأن أكثر من ٢٠٠ مليون امرأة، غالبا في الدول النامية؛ يفقترن إلى وسائل الوقاية منه ومنع الحمل كذلك أن حوالي ٦٧،٠٠٠ امرأة يمتن سنويا بسبب الإجهاض غير السليم، إضافة إلى الملايين اللائي يعانين من الجروح والأمراض والإعاقة لأسباب متصلة بهذه الظاهرة الخطيرة.

أما الآن، فقد حيدت الموارد المفترض تخصيصها للتنمية البشرية، للإنفاق على المصارف والشركات نتيجة للأزمة المالية العالمية وفي نفس الوقت، جري التشديد علي ضرورة النهوض بالرعاية الصحية الإنجابية والجنسية أيضا علي ضوء تدهور الأحوال البيئية نتيجة للتغيير المناخي، والذي يجبرالأهالي على النزوح والهجرة. وصرحت ثريا أحمد عبيد، المديرة التنفيذية لصندوق السكان التابع للأمم المتحدة، لوسائل الإعلام أن «كل دولار إضافي يستثمر في التنظيم الطوعي للأسرة، يعود بأربعة دولارات على الأقل على صورة إدخار في الإنفاق». وشرحت أن «تفادي حمل المرأة ضد إرادتها وموتها لدى الوضع أيضا، ناهيك عن إنقاذ حياة الملايين من الإطفال، كل هذا يقدر بأن يكلف العالم ٢٣ مليار دولار في السنة... وهذا هو ما تنفقه الحكومات على العسكرة في مجرد ١٠ أيام». وبدورها، وجهت وزيرة التعاون الاقتصادي والتنمية الألمانية هايدماري وييكزورك- زول، «نداء برلين» لحكومات الدول الصناعية لتخصيص نسبة مجرد واحد في المئة من الموارد المرصودة لانتشال المصارف والشركات من تبعيات الأزمة العالمية عليها، لتلبية إحتياجات التنمية في العالم.

كما انتقدت الوزيرة المدافعين عن مبادئ اقتصاديات الأسواق، فهي ذاتها هي التي شككت الأزمة العالمية في صلاحيتها. وقالت أن عنوان السياسات العالمية يجب أن يكون «المهم ليست الأسواق، وإنما البشر». ومن ناحية أخرى، صرحت جيل غرير من الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة، لوكالة انتر بريس سيرفس، أنه «قد تم إحراز تقدم لاشك، لكنه كان تقدما انتقائيا وغير متساو. فما زال الحق في الصحة عامة، والصحة الإنجابية والجنسية خاصة، حقا بعيد المنال بالنسبة لملايين البشر خاصة الفقراء والمهمشين». وأكدت «لا يجب أن يموت أحد لمجرد ممارسة الجنس. ومع ذلك، فيحدث ذلك يوميا وهذا دليل على فشل الحكومات في توفير هذه الخدمات الصحية، أن تمويل الرعاية الصحية الإنجابية قد انخفض من ٣٠ في المئة إلي ١٢ في المئة في الفترة من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٨.

وقالت جيل غرير أن إدارة جورج بوش والزعماء الدينيين خاصة في الكنيسة الكاثوليكية هم أكبر المسؤولين عن ذلك، وأن إدانة الفاتيكان لبرامج التربية الجنسية ومواقف بوش المحافظة، قد ساهما في «معارضة تنفيذ برامج مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة، وساعدا في تسهيل الحملة العالمية لمهاجمة البرامج الموجهة لرعاية الصحة الإنجابية والجنسية». وفي هذا الشأن أيضا صرحت لاورا فيبا، من شبكة الشباب المكسيكية للحقوق الإنجابية والجنسية، لوكالة انتر بريس سيرفس أن «مؤتمر القاهرة كان انطلاقة مهمة على مسار سياسات رعاية الولادة والتناسل وتنظيم الأسرة».

وشرحت أنه «قبل ذلك المؤتمر، كانت السياسات السكانية الوطنية والدولية تقع تحت رحمة قواعد غير ديمقراطية بل وعرقية وعنصرية أحيانا، كالتعقيم الإجباري لجماعات عريقة محددة». أما المعايير الجديدة فتنص على أن النهوض برعاية التناسل والأسرة هو حق من حقوق الإنسان، لا رهينة لغايات بعينها لأنظمة دكتاتورية حاكمة. وكان مؤتمر القاهرة قد ناد بتوفير خدمات تنظيم الأسرة للجميع بحلول عام ٢٠١٥ كجزء من المنظور العريض للحقوق الجنسية والتناسلية. كما شدد على أهمية المساواة بين الرجل والمرأة، لا لغاية في حد ذاتها، وإنما كوسيلة لتحقيق التنمية المستدامة.

وكالة آي بي إس

يوميات مراسلة صحفية في العراق

ترجمة: علاء خالد غزالة

أصبحت لدي عادة يومية في العراق. ففي كل صباح، وقبل ان اغادر المكتب فاني آخذ لنفسي وقتا استشعر فيه قيمة اللحظة الراهنة، واللحظة التي سبقتها. ربما جاء ذلك الي من قصص العديد من اصدقائي العراقيين الذين اخبروني انهم يؤدون صلاتهم قبل ان يخرجوا من بيوتهم لانهم قد لا يعودون اليها ابدا.

وعلى مدى قرابة ثلاثة اعوام امضيت صباحاتي بنفس الطريقة: انهض وانا قلقة حول ما يمكن ان يتمخض عنه ذلك اليوم. لم يكن السؤال فيما اذا كان هناك اناس سيموتون في ذلك اليوم، بل السؤال هو اين سيموتون وبأي طريقة وكم عددهم.

العراق مصدر للمذكرات

نحن نقول انه يوم حسن حينما لا يموت الا عشرة اشخاص، لكن هناك اياما سيئة. هناك يوم يموت فيه صديق. وهناك يوم تسلب فيه ارواح ثلاثمائة شخص في لحظات. يوم ارتمت أم بين ذراعيّ تنوح على ابنها المفقود، والذي قتله احد عناصر المليشيات، بينما جلست ارملته القرفصاء في زاوية الغرفة الفارغة التي تشاطراها.

يومٌ وُصف فيه رجل وهو يغسل جثة زوجته التي مزقها الرصاص في مسجد اطلق عليه اسم احد اعلام الدين الذين احبتهم. ويومَ بكت ابنة بين ذراعي امها الميتة، والتي اطلقت عليها القوات الامنية الاميركية النار بطريق الخطأ. ويومَ احنيت رأسي مع الجنود الاميركيين تكريما لذكرى الجنود الذين سقطوا قتلى.

هناك يوم تأسيت فيه مع اقرب اصدقائي في بغداد. هذه البلاد التي استقبلتني فيها، والاماكن التي جعلتني اراها، لم تعد آمنة بالنسبة لها، وهي تتحضر مع ابنتها وزوجها للمغادرة. وبعد ان رفضت سلسلة من البلدان منحها التأشيرة، فقد انتهى بها الامر الى الرحيل الى منطقة كردستان في شمال العراق، وهي اكثر أمنا بكثير.

لقد علمني العراق ان اتذوق الامور الصغيرة والجيدة. وافضل ذكرياتي اشياء تافهة، مثل الضحك وانا داخل ضريح مقدس في النجف مع رفيقتي، جنان، بعد ان هربنا من الحارس الذي لم يكن موافقا على دخولنا الى قسم النساء من المسجد.

هناك اسبغنا الوضوء في المكان الخطأ، المكان المخصص لاستعمال الرجال. وحينما بدأ الحارس في الصراخ بوجهنا باللغة العربية، تظاهرنا باننا ايرانيات وغير قادرات على فهم ما يقول قبل ان نهرب من خلال البوابة المنقوشة بالذهب الى جناح النساء في الضريح. وهناك جلسنا متربعتين تحت السقف المغطى بالمرايا البراقة، نضحك بهمس، ثم حنينا رأسينا متأملتين بينما راحت نسوة اخريات يصلين على الارض المفروشة بالسجاد.

احتفلنا بأعياد ميلاد الاشخاص حول كعكة مغطاة بالفراولة الغضة، مع موسيقى تصدح من حاسوب محمول. وابطأنا السير في شوارع بغداد لنراقب موكبا من السيارات التي تنفخ ابواقها وتعزف الموسيقى احتفالا بعروس وعريس جديدين وهما يبدآن حياتهما معاً. وقد تظاهرنا ان هذه اللحظات من الزمن هي العادة، وليست الاستثناء.

لكن الحقيقة، على اية حال، في تلك العاصمة التي صبغتها الالوان الرمادية والبنية، ان الحرب والفقر يسودان دائما. وفي يومي الاخير في العراق، كما في يومي الاول فيه، لم ارَ ما حققته الولايات المتحدة وحلفاؤها.

لم استطع ان ارى دليلا على مليارات الدولارات من اموال دافعي الضرائب الاميركيين التي ذهبت لإعادة بناء امة حطمتها اكثر من ثلاثة عقود من الحرب والعقوبات ومزيد من الحرب.

لم استطع ان افهم لماذا مات الآلاف من الجنود الاميركيين ولماذا قُتل مئات الالوف من العراقيين. لم ارَ ديمقراطية واعدة في الحكومة العراقية التي يزداد شبهها بنظام صدام كل يوم. لم اشاهد ارضا انقسمت منذ وقت طويل الى طوائف واعراق وعشائر وطبقات وهي تبدأ في التحول الى امة موحدة.

وعلى مدى اشهر قليلة تملكني امل في امكانية النجاح. كان ذلك حينما تضاءل العنف وبدأت الحياة بالعودة الى العاصمة. بث تلفزيون الدولة برنامج «بغداد في الليل» من احياء لم يكن هناك ما هو اخطر منها، ولكنها برغم ذلك عادت الى الحياة مجددا.

وخُلتُ ان الامور سوف تنجح حينما اكلتُ في مطعم ايطالي كنت قد زرته للمرة الاولى في عام ٢٠٠٥، قبل ان يهرب صاحبه ويغلق المكان. ومن ثم اعيد افتتاحه عشية عيد الميلاد. وارتفعت آمالي حينما اعيد افتتاح افضل مطعم (شاورما) في بغداد بعدما عاد صاحبه، الذي كان قد اختُطف مرة واحدة على الاقل، وحينما فتح مطعم (الكباب) في الفلوجة ابوابه من جديد.

بدأ الناس، ببطء ولكن بعزيمة، في الحياة مجددا وبناء حياتهم فوق الحطام والدم وجراحات الحرب.

قال لي زميلي في الصحيفة وصديقي، محمد: «نحن منهكون. كل ما نراه هو اللون الاحمر، وفي بعض الاحيان تريد ان ترى أي لون آخر سوى اللون الاحمر.»

وبينما كنت اتحضر للمغادرة هذا الربيع، في اية حال، فان الجنود الاميركيين كانوا يتحضرون للرحيل كذلك. لكن العنف بدأ في التصاعد مع رحيلهم الوشيك، وبدأ الفرقاء المتعادون الذين جمعتهم القوات الاميركية معاً استحضاراتهم لمعركتهم التالية.

وكل من تحدثت اليه قال انه قلق من القتال المرتقب؛ تلك المواجهة التي يقولون انها سوف تودي، على الارجح، بحيوات عدد من العراقيين يفوق عدد الضحايا في جميع السنوات الست الماضية.

من الراجح ان يبدأ القتال بعد رحيل الجنود الاميركيين. وعندها، لن تستطيع الولايات المتحدة ان تقيّد الحكومة العازمة على كبح معارضيها فلا يعودون للظهور من جديد ابدا.

قدت سيارتي في آخر يوم لي في العراق مرورا ببعقوبة، واجتزت مدينة بهرز الصغيرة في شرقي العراق. ومررنا من خلال حائط خرساني منخفض كان قد اقيم في جوانب طريق ريفي.

لقد كان هذا هو الخط الامامي لتنظيم القاعدة في العراق خلال عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨، حينما اشتبكت هذه المجموعة مع الاميركيين وحلفائهم من المقاتلين مدفوعي الاجر. وبدت الابنية على جانبي الطرق المليئة بالمطبات الموشحة بالحفر الغائرة التي تركتها القنابل المزروعة على جانب الطريق، كئيبة وحزينة وقد انهكها العنف.

بقيت قطعة من سقف مدرسة انهارت نتيجة عملية تفجير. ليست هناك مظاهر بهجة لتلاميذ المدرسة، وليست هناك من امهات يأتين لاصطحاب بناتهن. كانت معظم ابنية هذه القرية الصغيرة فارغة وغير قابلة للسكن.

وكانت هناك بقايا من الحرب، ورموز للخسارة: هياكل محترقة لسيارات نوع تشيفي سبيربان بيضاء، سيارات كانت قد نخبها الرصاص أو وقعت اسيرة القنابل المزروعة في الجدار الخرساني. لا يزال من الممكن رؤية القنابل المنزلية الصنع على حافات هذه الطرق.

وفي قرية ياسر الخضير، التي تبعد حوالي اثني عشر كيلومترا عن بعقوبة، يقوم بعض الشباب بزراعة العشب في ارض مهجورة قرب منازل مدمرة كانت تحتضن ذات مرة عوائلهم.

هذه القرية، شأنها شأن الكثير من القرى في العراق، كانت عبارة عن عائلة واحدة كبيرة، وفي هذه الحالة كانت هي عائلة آل ياسر. وفي احد ايام الجمعات المشمسة التم شمل العائلة حول مائدة الطعام. كان الاطفال قد لعبوا في الاراضي الخضر المعشبة، ومن ثم استحموا في القناة الواقعة خلف مجمع الدور والمزارع.

لم تعد الارض معشبة، فقد اصبح معظم العشب جافا وهشا وبني اللون. لقد ماتت وئيدا منذ الخامس عشر من تشرين الثاني عام ٢٠٠٧.

ففي ذلك اليوم الدموي قدم مقاتلو تنظيم القاعدة في العراق الى قرية ياسرِ الخضير واشتبكوا في معركة مع سكانها. دام القتال ساعات، ومن ثم اخذ مقاتلو القاعدة جميع رجال القرية الذين امكن لهم العثور عليهم، بضمنهم اولاد في سن المراهقة. وتمكن القليل منهم من الهرب عبر القناة التي جفّ ماؤها الآن والواقعة خلف القرية، او اختبأوا تحت رفوف متجر القرية الوحيد. كما اخذ المقاتلون الاغنام والابقار ايضا.

وقد اتهم الرجال الذين اغاروا على القرية سكانها بانهم من (الصحوة)، وهي مجالس الإنقاذ التي كانت القوات الاميركية تدفع مرتباتها من اجل مقاتلة تنظيم القاعدة في العراق. لم يكن للقرويين ادنى فكرة عن ماهية مجالس (الصحوة).

وعاد ثلاثة من الاولاد لانهم كانوا يافعين جدا، لكن لايزال سبعة عشر رجلا مفقودين، ويرجح انهم ألقُوا الى النهر بعد ان اعدمهم المتطرفون. ومن المحتمل ان لا تجدهم عوائلهم ابدا، ولن يستطيعوا ان يدفنوهم بالشكل المناسب حسب الطقوس الاسلامية، كما انهم يتساءلون باستمرار فيما اذا كانوا احياء ويعيشون في مكان ما.

يوم زرت القرية، قبيل هبوط الظلام، وجدت حفنة من الرجال الشباب والاولاد والرجال المسنين والمعاقين يغادرون القرية التي طالما اسموها موطنهم مع ما يزيد على ١٢٠ امرأة وطفل ليذهبوا الى بهرز، وهي اقرب البلدات اليهم، حيث يعيشون اليوم في منزل متسأجر لا يستطيعون دفع ايجاره.

رحّبت بي حسنة خواص حسن في منزلها. وهي امرأة محطمة ما تنفك تلف نفسها بالملابس السود في منزلها الاجرد المستأجر. لم يكن هناك من عشب في الخارج، لا توجد الا القمامة التي تناثرت حول فتحات المجاري الناضحة.

تحيط بعينيها هالة الحزن. لقد قتل خمسة من اولادها السبعة، كما مات زوجها قتلا على يدي تنظيم القاعدة في العراق باسم دولة العراق الاسلامية.

لم تسمع، قبل الغزو الاميركي في عام ٢٠٠٣، ابدا بهذه المجموعة، لكن ذلك بعضا مما جلبت الحرب لها. لم تعد ابدا الى قرية ياسر الخضير بعد ذلك اليوم المشؤوم، وهي لن تعود اليها ابدا.

وضعت رأسها بين يديها وبكت بصمت وهي تقول: «لماذا اعود؟» لم تستطع الكلام لعدة دقائق.

لماذا تعود الى المكان الذي قُتلت فيه عائلتها، حيث دُمر منزلها الذي عاشت فيه لمدة ثلاثين عاما، والذي غير حياتها الى الابد؟

عُلقت صورة نصفية لزوجها على حائط الغرفة الخاوية التي تعيش فيها مع ارملة ابنها واولادهما.

لقد قتل تنظيم القاعدة في العراق سبعة عشر رجلا من القرية، واليوم يعيل وليد طه ياس، البالغ خمسة وعشرين عاما من العمر، اثنين وعشرين فردا من عائلته الممتدة. ويبلغ اصغر اخوته اربعة عشر عاما من العمر.

ويتقاسم اربعة رجال من القرية، من القادرين على العمل، حمل ورعاية كبار السن والنساء والاطفال. يقوم الرجال بزراعة العشب في الارض الجافة ويبيعون مربعات منها الى البستانيين من اجل اطعام العوائل والارامل والايتام. وهم عادة ما يعتمدون على تبرعات العشيرة التي تصلهم كل شهر.

واستغرقت عودتهم الى قرية ياسر الخضير فترة ستة اشهر. وذهب وليد ياس معهم، ولكنه لم يجد من ذكرى لحياته السابقة سوى اعمدة اسرّة ملتوية، وسجادات محترقة، وحطاما تناثر منْ الماضي.

تحول كل منزل الى بقايا جدران يعلوها السخام. كان وليد قد انفق كل ما يملك ليفرش الغرفة التي تشاطرها مع زوجته، والتي كانت ترتبط مع غرفة اخيه عبر نفس الفناء المفتوح.

وقد اراني الموقع الذي كان يوجد فيه السرير ووصف لي بفخر الدولاب الخشبي الذي ابتاعه والسرير الفخم المزين بالمرايا والذي ساعدته عائلته على شرائه.

وعلى مدى شهر، كان يأتي الى هنا وينوح.

اشار ياس الى مبنىً مدمر، حيث قُتل خمسة اشخاص. وقُتل شخصان آخران في مبنى مجاور، وقُتل ثلاثة في مبنى آخر، وتمضي القصص تباعا. كان كل ما تواجد حولي اجزاء محطمة لما كانت عليه.

وفي احد المنازل كانت هناك صحون مكسورة تبعثرت على بقاياها زهور وردية في المكان الذي اجتمعت العائلة ذات مرة لتأكل. احالت النيران لون الرفوف الزرق في المطبخ الى اللون الاسود. وفي الخارج، حدد الطابوق المزخرف الممر المهجور في الحديقة.

وعلى مقربة من ذلك، تبرز بقايا سجادة متسخة من بين كومة من الطابوق المحطم.

فكرتُ، وانا في طريق العودة من بهرز، بالعجوز الارملة، حسنة. وبينما كنت احزم امتعتي لمغادرة العراق، فكرتُ بها. وفي آخر رحلة لي على الطريق الى مطار بغداد، الذي يمر عبر متاهة من الجدران الخرسانية التي تحيل الاحياء السكنية الى ما يشبه السجون، وبعد ان مررت بنقاط التفتيش حيث شمت الكلاب حقائبي وفتشتني النسوة، فكرتُ بها.

وبينما اكتب هذه الكلمات انا افكر بها، واتساءل الآن، كما تساءلت في اول يوم قطعت فيه طريق المطار ذاك، ماذا حققت معاناتها، وماذا حقق سفك دماء العراقيين، وكذلك الأميركيين؟

عن: صحيفة ماكلاتشي